Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

القيم النفسية السائدة في الشعر العراقي الحديث حسين مردان أُنموذجاً

The prevailing psychological values in the modern Iraqi poetry / Hussein Mardan model

م.د. بيداء عبد الصاحب عنبر الطائي

الكلمات المفتاحية: الحواضن المكانية – المرجعيات الفكرية – البوهيمية – النرجسية – التمرد

Summary:

This study dealt with the subject of values in the poetry of Hussein Mardan from a psychological perspective, and explained the tendency of the poet to adhere to some of the values he wanted to remedy most of them, perhaps the most prominent narcissism and bohemianism; Vasal some of the techniques in response to his experience of poetry in a linguistic interface embraced those methods to express his feelings, Benefiting from a variety of sources, most notably his extensive culture and knowledge. Despite the status of Hussein Mardan in the map of modern Iraqi poetry, the poet did not take his entitlement to the life he was living, and was looking for his own world in his poetry experience, and remained unfair after his death; his poetry did not address the critics, except those who Gailoh Such as Ali Jawad al-Tahir and Abdul-Radha Ali and others, and even these studies did not address the values that characterized the psychological perspective, there was no comprehensive research shows the reasons and psychological motives that led him to adhere to the values that characterized it; so I went to stand on this subject and study to reveal Psychological reasons NH behind it based on the months of psychological and philosophical theories that explain the values of various forms.

The psychological values in the poetry of Hussein Mardan appear in most of his poetry, and this will be clarified through the study of the four studies, the first topic, which was

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

entitled (values and their behavioral components) in anticipation of the most important psychological studies that dealt with the concept of values, and the second study, The third topic (intellectual and cultural references) was the most important sources that nourished his thinking, which had the greatest influence in guiding his intellectual paths. The last topic was applied. We applied the psychological values that were discussed Haa in the first section, on his poems, Kalnrjsuh and bohemian, frustration, and others. The researcher took the analytical approach in this study to uncover the most important aspects of her research followed by a conclusion in which the most prominent findings and visions.

ملخص البحث :

تناولت هذه الدراسة موضوع القيم في شعر حسين مردان من منظور نفسي ، ووضحت ميل الشاعر للتمسك ببعض القيم التي رغب في الاتصاف بمعظمها ، ولعل أبرزها النرجسية والبوهيمية ؛ فتوسل ببعض الأساليب الفنية استجابة لتجربته الشعرية في بينية لغوية احتضنت تلك الأساليب للتعبير عن مشاعره ، وأكثرَ منها ، مستفيداً من مصادر متنوعة أبرزها ثقافته الواسعة وسعة اطلاعه.

وعلى الرغم من مكانة حسين مردان في خارطة الشعر العراقي الحديث ، لم يأخذ الشاعر استحقاقه في الحياة التي كان يعيشها ، وظل يبحث عن عالمه الخاص في تجربته الشعرية، وبقي عدم الإنصاف يلاحقه حتى بعد مماته ؛ فلم تتناول شعرَه أقلامُ النقاد ، إلا من أولئك الذين جايلوه أمثال علي جواد الطاهر وعبد الرضا علي وغيرهما، وحتى هذه الدراسات لم تتناول القيم التي اتصف بها من منظور نفسي ، فلم يكن هناك بحث شامل يظهر الأسباب والدوافع النفسية التي دعته الى التمسك بالقيم التي اتصف بها ؛ ولذلك توجهت الى الوقوف عند هذا الموضوع ودراسته للكشف عن الأسباب النفسية الحقيقة الكامنة وراء ذلك استناداً على أشهر النظريات النفسية والفلسفية التي فسرت القيم بأشكالها المختلفة .

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

تظهر القيم النفسية في شعر حسين مردان في معظم أشعاره، وهذا ما سيتم توضحيه عبر مباحث الدراسة الأربعة ، فكان المبحث الأول، والذي جاء بعنوان (القيم ومكوناتها السلوكية) تنظيرا لأهم الدراسات النفسية التي تناولت مفهوم القيم ، أما المبحث الثاني ، فدرس أهم الحواضن المكانية التي استقى منها الشاعر ثقافاته المختلفة، وكان بعنوان (الحواضن المكانية والمعرفية)، وتناول المبحث الثالث(المرجعيات الفكرية والثقافية) أهم المصادر التي غذّت تفكيره والتي كان لها الاثر الأكبر في توجيه مساراته الفكرية ، وكان المبحث الاخير تطبيقيا؛ إذ طبقنا القيم النفسية التي تم توضيحها في المبحث الاول ، على أشعاره ، كالنرجسية والبوهيمية والإحباط وغيرها . ونهجت الباحثة المنهج التحليلي في هذه الدراسة للكشف عن أهم مفاصلها في مباحثها متبوعة بخاتمة فيها أبرز ما توصلت إليه من رؤى ونتائج.

المبحث الأول: القيم ومكوناتها والسلوكية

اهتم كثير من الباحثين بمفهوم القيم في مختلف المجالات الفلسفية والاجتماعية والنفسية وغيرها، ويعد هذا المفهوم من المفاهيم التي شابها الخلط والغموض في الاستخدام والتأويل.ولعلّ أول من استخدم لفظة (القيمة) بالمعنى الفلسفي وعملوا على نشره، هم الألمان ، لاسيما لوتز lotze ، وعالم الدين ريتشل Richel ، وكذلك علماء الاقتصاد النمساويون، ثم استمرت في اوربا لا سيما بعد نجاح كتابات الفيلسوف الالماني فريدرك نيتشه niayzche.[١]

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

استخدمت القيمة لمعرفة قيمة الشيء ، كما استخدمت ايضاّ بمعنى التعديل والاستقامة والاعتدال ، فقد قيل قام الامر، اي اعتدل واستقام ، وقام الحق اي ظهر واستقام ، وقوّم الاعوج، اي عدله وازال اعوجاجه.[2]

ان التعريفات اللغوية ربما تكون بعيدة عن مفهوم القيمة في بحثنا هذا ، الا ان المفهوم الفلسفي هو الاقرب بلا شك ؛ فالفلسفة جزء من الاخلاق والمنطق والسياسة وعلم الجمال ؛ اذ ان اغلب المذاهب الفلسفية المختلفة حوت مفاهيم ومشكلات فلسفية مرتبطة بالقيم.[٣] حتى شمل البحث في هذا المفهوم ثلاثة مجالات أو مثل عُليا رئيسة، وهي: الخير ، والحق، والجمال. ثم توسعت بعد ذلك الى مفاهيم فلسفية فرعية شبه مستقلة ، وكلها تابعة للميتافيزيقا التي تعد من العلوم المعيارية.[٤]

ولعل التعريفات الانثروبولوجية والسسيولوجية والسيكولوجية ، ذات الارتباط الاكبر بموضوع البحث ؛ اذ يعرف الانثروبولوجيون القيمة على أنها تصور ظاهر أو مضمر يميز الفرد أو الجماعة لما هو مرغوب يؤثر في الاختيار بين الوسائل والغايات المتاحة للسلوك ، أما برونسلاف مالينوفسكي ، فقد وضع للقيمة دورا مهما في تصيره للبناء الاجتماعي ويأتي هذا الدور من ان القيمة هي التي تعطي المعنى للضرورات أو الحاجات البيولوجية للإنسان ؛ لأن له ضرورات أساسية مثل الكائنات الحية الأخرى غير انه يتميز عن تلك الكائنات بالقيم ، وهي دوافع وبواعث تتلاءم في إشباعها مع الخصائص والحتميات الثقافية التي يوارثها المجتمع[٥]، فالقيمة معيار عام ضمني أو صريح ، فردي أو جماعي، تتخذ له القرارات من قبل الأفراد أو الجماعة للحكم على السلوك الاجتماعي قبولا أو رفضا ؛ فالقيم مقاييس اجتماعية خلقية جماعية تقررها الثقافة التي ينتمي إليها أفراد المجتمع وفقاً لتقاليد المجتمع واحتياجاته وأهدافه في الحياة.[٦]ومن بين التعريفات السسيولوجية الشائعة لمفهوم القيم ، تعريف إميل دور كايم ، الذي يذهب إلى أن كل مجتمع له نظام أخلاقي يمثل حقيقته، كما أن القاعدة الأخلاقية لا تنبثق من الفرد ولكن المجتمع هو لسان القيم ، والأخيرة هي نتاج اجتماعي لعوامل اجتماعية، ويعتمد النظام الأخلاقي على البناء الاجتماعي للمجتمع الذي يوجد في إطاره، والذي يتحدد

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

من خلال ما هو مرغوب فيه اجتماعيا. أما ماركس فيبر، فيرى أن القيم هي الموجهات التي تفرض نمط أو شكل السلوك وتتضمن هذه القيم بعض الأوامر التي تحكم سلوك الإنسان بطريقة ضاغطة أو قد تخضع هذه القيم بعض المطالب التي قد يضطر الإنسان إلى القيام بِها .[٧] وربط بعض الباحثين القيم بالأهداف ويعرفها بأنها أهداف يسعى إليها الفرد بغية تحقيقها وتمثل مرجع حكمٍ للأفراد.[٨]

والقيمة في المفاهيم السيكولوجية هي من المعايير التي يستخدمها المجتمع في بعض المواقف التي تتطلب القرارات، وهي كما يقول ثورندايك بأنها تفضيلات تكمن في اللذة أو الألم الذي يشعر به الإنسان[٩] ، كما عرفت على أنها الأفكار الإعتقادية المتعلقة بفائدة كل شيء في المجتمع ، وقد تكون الفائدة صحة جسمية، أو توقداً في الذكاء، أو نشوة ولذة، أو غير ذلك من المنافع الشخصية.[١٠]

استنادا على ما سبق، فان للقيم مكونات معرفية وسلوكية مختلفة تخدم مفاصل البحث التطبيقية ، ولعل أهم هذه المكونات، كما وردت في بعض مصادر علم النفس[١١]،هي:

- المكون المعرفي:

ومعياره الاختيار الشعوري ، أي انتقاء القيمة من بدائل مختلفة بحرية كاملة ، بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل ويتحمل مسؤولية انتقائه بكاملها ، وهذا يعني ان الاختيار اللاشعوري لا يرتبط بالقيم ؛ من حيث اذن الاختيار يمثل المستوى الأول لسلم الدرجات المؤدية الى القيم ويتكون من ثلاث خطوات متتالية ، هي: استكشاف البدائل الممكنة ، والنظر في عواقب كل بديل ، ثم الاختيار الحر.

- المكون الوجداني:

معياره التقدير الذي ينعكس في التعلق بالقيمة ، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في إعلانها على الملأ ، ويعد التقدير المستوى الثاني في سلم الدرجات المؤدية الى القيم ، ويتكون من خطوتين متتاليتين ، هما: الشعور بالسعادة لاختيار القيمة ، ثم إعلان التمسك بالقيمة على الملأ.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

- المكون السلوكي:

ومعياره الممارسة والعمل ، أي الممارسة الفعلية للقيمة المنتقاة على أن تتكرر الممارسة بصورة مستمرة كلما سنحت الفرصة ، وتتكون الممارسة من خطوتين : ترجمة القيمة الى ممارسة ، وبناء نمط قيمي.

وتعد الخاصية الذاتية للقيم احدى أهم خصائص هذا المفهوم ، وتتعلق هذه الخاصية بالطبيعة الانسانية والاجتماعية والسيكولوجية العامة للانسان الفرد، التي تشمل الرغبات والميول والعواطف وغيرها من عوامل نفسية ، فالقيمة باعتبارها افكاراً تصدر على الاشياء تتضمن معان كثيرة مثل الاهتمام والاعتقاد والرغبة ، وكل هذه الاحكام والمعاني تعبر عن عناصر شخصية ذاتية ، وتتضمن عنصرا عاطفيا الى جانب العنصر المعرفي السلوكي.[١٢]

وبذلك فان للقيمة مصادر معينة ينتقي الفرد منها قيمه التي اختارها لنفسه، أهمها وأولها البيئة المحيطة له، أي مجتمعه وما يحمله من أفكار ومعتقدات ، فضلا عن الثقافة الشخصية بما فيها من معارف مكتسبة ، فضلا عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الثاني:

الحواضن المكانية والمعرفية:

كانت لحسين مردان بعض المحطات التي توقف عندها، اختياريا وجبريا ، كانت بمثابة الحواضن المعرفية لاحتواء تجربته الشعرية، وكان لها الدور المهم في إنضاج رؤاه والتزود بالأفكار والثقافات المختلفة ، والتي أثرّت بشكل أو بآخر على طريقة تفكيره وعيشه، ومن ثم انعكاس ذلك كله على شعره. بدءاً من حياته الريفية في بعقوبة مرورا ببغداد وما فيها من مقاه وسجون، وانتهاءً بعمله الصحفي في الجرائد والمجلات، ويمكن إجمال هذه الحواضن بما يأتي: المقاهي أ السجن أ الصحف والمجلات.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

المقاهي:

كانت بغداد حلم كل كاتب وأديب وناقد، فكانت مركزاً للإعلام الثقافي والفعاليات الثقافية، وأغلبهم كانوا يأتون اليها، تجمعهم المقاهي بلهفة شديدة للقراءة والحوار والجدل في الامور السياسية والادبية ، و" كانوا كثيرين يعدون بالعشرات: شعراء، وقصاصين، ورسامين، وكتّاباً، ومسرحيين ... جاءوا من محافظات العراق المختلفة، وأقاموا في بغداد ليدرسوا أو يعملوا، أو ليدرسوا ويعملوا، فاستقبلتهم فنادقها المتواضعة ... وموائد باراتها الرخيصة ... كان أغلبهم حديث عهد بالنشر ... وكانوا مفعمين بالأحلام والطموحات"[١٣]. ومن هذه المقاهي : مقهى محمود في منطقة باب الشيخ، ومقهى التاج في منطقة الكسرة، ومقهى زناد في البتاوين، ومقهى أكرم في شارع الأمين، وغيرها من المقاهي التي كانت تجمع رواد المدرسة الحديثة للشعر والقصة والصحافة ، ومنهم كان حسين مردان وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري.[١٤]وكان مردان يلتقي بأمثاله من الشباب المتمرد الغاضب في المقاهي والحانات والبيوت ثم بمن عرف بجماعة الوقت الضائع ، ومقهى واق واق.[١٥]ولم تكن تلك المقاهي فضاءً مكانيا لتمضية وقت الفراغ في الاحاديث المتبادلة ، بل كانت مسرحا مهما تعكس طبيعة الطبقة الفكرية التي كانت ترتادها،فاللقاءات فيها فكرية ، وقد بين ذلك شاكر حسن آل سعيد في حديثه عن علاقته بالشاعر حسين مردان في مجلة الاقلام ، وذكر ان مقهى ياسين كانت " مسرحا هاما(كذا) للقاءاتنا الفكرية والصداقية المتكررة آنذاك . وكنا نرتادها كل يوم تقريباً (وفي الصيف على الأكثر) وفي الاعوام الاخيرة من العقد الخمسيني ... فقد كانت البنية البشرية التي كنا نؤلفها نحن تتكون من عدد من الفنانين والطلاب ما بين شاعر أو موسيقي أو رسام أو صحفي أو محامي أو فيلسوف"[١٦]. ويعد مقهى الزهاوي اول مقهى وصل اليه حسين مردان حين قرر ترك المدرسة والذهاب الى بغداد ، ثم انتقل بعد ذلك ومعه" كل من رشيد ياسين وبلند الحيدري وزهير احمد القيسي الى مقهى البلدية ، وكان شعراء وادباء الكليات يهرعون الينا بمجرد الانتهاء من دروسهم .. ومن هؤلاء بدر شاكر السياب وعبد الرزاق عبد الواحد وأكرم الوتري ، فقد كانت تلك المقاهي جامعات حقيقية للادب والشعر .. وبعدها تحولنا

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

الى مقهى الدفاع .. وأخيرا قررت الانتقال الى المقر الجديد في مقهى الصباح في باب المعظم .. وقد اقترح احدنا التحول الى مقهى الرشيد في الحيدر خانة ، وبعد ان نوقش الاقتراح مدة شهر كامل تقرر الاخذ به وهكذا تحركت القافلة الى هناك ، وفي هذه المقهى التقينا بالشاعر صالح بحر العلوم وعباس شايجه، وانضم الينا كل من الاخوين موسى ومحمد النقدي ، وهنا بدأت حدة المناقشات الادبية تهفت تدريجيا ثم حصل الانتقال الكبير الى مقهى البرازيلية .. لقد كان عهد مقهى البرازيلية هو العهد الذهبي "[١٧].ومن ذلك كله تتضح محاولات الشاعر في تحقيق وجوده والبحث عن توجهاته الحقيقية منطلقا من ذاته .

السجن:

يقول حسين مردان :" حين صدر ديوان قصائد عارية عام ١٩٥٠ جمعته السلطات العراقية من الأسواق وصادرته واعتبرته مخالفا للآداب وخطراً على الأخلاق العامة وأحالت الشاعر الى المحكمة واستمرت محاكمته شهراً وكانت من الطرافة بحيث شغل بها الناس وتناقلت أخبارها الصحف يوما بعد يوم"[١٨]، ففي خمسينيات القرن العشرين دخل حسين مردان سجن الكوت ، وتعمق لديه الفكر الإصلاحي الثوري، وتلقى وقرأ ما يقرب من مئة ألف صفحة من الفلسفة الماركسية[١٩]، وهذا ما ذكره الشاعر نفسه بقوله: " وفي سجن الكوت الرهيب بدأ التحول الكبير في مجرى حياتي الأدبية فقد أقسمت مع نفسي على السير في خدمة الشعب والعمل على قلب ذلك النظام الذي يستّل توق الإنسان إلى الحرية بالسجن والحرب"[٢٠]، فكان السجن له تحدٍ لسلطان النظام الجائر آنذاك ، فتعمقت فيه صفة التمرد على ذلك النظام ، والذي استفحل بعد ذلك ليشمل التمرد على القيم والاعراف وتجاوز المألوف.

الصحف والمجلات :

يقول علي جواد الطاهر: " يوم قدم حسين بغداد في الأربعينيات قادما من قرية في أطراف بعقوبة لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة .. لم يكن يحمل في رأسه أية أمنيات عراض ،أو أية أفكار

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

لمغامرات طوال .. بضع قصائد وآراء كان رأسه يضج بها بما حفظه عن كامو وبودلير وبايرون وغوته ونيتشه ، مما ترجم لهم ولغيرهم للعربية .. وبضع هفهفات من معلقات العرب وما تركز للجواهري"[٢١].

وعمل الشاعر صحفيا ، ولعل أهم أعماله في هذا المجال ، هي[٢٢]:

- كان يوالي النشر في الصحف ، وفي جريدة الأخبار.
- أسسس الاتحاد العام للأدباء العراقيين ١٩٥٩، وكان عضوا بارزا في الهيئة الإدارية.
- كان يصحح بروفات كتابات الأهالي في المطبعة .
- ارتبط بمجلة ألف باء الأسبوعية ، واتفق على الكتابة فيها منذ عام ١٩٦٩ بمقالة أو شعر أو نثر مركز .

كما كانت له كتاباته الخاصة في الصحف والمجلات، فكتب الكثير من المقالات والأخبار المنوعة بصبغته الخاصة ولمحاته الذاتية بما عُرف بـ (النثر المركز) والتي اولاها الناقد علي جواد الطاهر اهتماما خاصا،وجمعها في كتاب عنوانه (الأزهار تورق داخل الصاعقة) ووجد في هذه القطع النثرية أن الشاعر " يبث لواعجه وآماله ويذيع تجاربه ونوازع خواطره ، فهي شعر جاء على صورة النثر وفيها أعلى سماته الشعرية روحا من الطفولة والفرح والدهشة والانسانية والسمو بالفن وامتصاص الرحيل مما يقرأ ويشاهد ويتأول ، وفنا من الكلمات الموحية حتى لو لجأ معها الى العامية والتركيبات الخاصة به على تشبيهات غريبة واستعارات عجيبة وصور لا تمر بغيره وبغير عقله الباطن ونمطه في الروابط السريالية "[٢٣]، وخير دليل على ذلك ما ذكره في مقالة (الحب والوطواط) : " لا انها شرقية الجفون ، ولن تغادر دكان الصمغ القديم وستبقى تلوب داخل اقمطة التقاليد "[٢٤]، ففي مفرداته العامية المباشرة التي لم يبذل جهدا في انتقائها وتزويقها وصياغتها ، صوّر القيود التي كان يرفضها ويتمرد عليها.

الثاني: المرجعيات النفسية والفكرية :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

يعد حسين مردان واحدا من شعراء الطليعة الذين أسهموا في تطوير حركة الشعر الحديث في العراق ، وعُرف بمخالفته الخط العام للشعراء آنذاك ، فعبّر عما يجول في خاطره بجرأة ودون تردد ما أثار حوله ضجة كبيرة ، كان الغرض منها أ بحسب جلال الخياط أ الحصول على شهرة عاجلة.[٢٥] ومن خلال القراءات النقدية التي تصدت لشعر حسين مردان ، يمكننا أن نستشف أهم المرجعيات الفكرية التي استقى منها الكثير ورسمت له توجهاته الواضحة في أشعاره ، ولعل أهم هذه المرجعيات ، هي: الوجودية ، والسريالية، والرمزية، فضلا عن العهد القديم من الكتاب المقدس .

" أعلَنَ نفسه بودليرياً" ... هذا ما ذكره علي جواد الطاهر في إحدى مؤلفاته ، وبيّن انه حين طلعت مجلة الكاتب المصري ، وما فيها عن الوجودية، هام بها وفهمها على طرازه الخاص ، وعدّ نفسه وجوديا ، ثم عندما وصلت اليه ترجمة (من أزهار الشر) لبودلير تمكنت منه ووجد نفسه في بودلير ، فأعلن نفسه بودليرياً [٢٦]. وبذلك تأثر بالفلسفة الوجودية اسلوبا وفكراً، ودافع عنها علانية عندما وصف من قال عنها بأنها فلسفة اباحية مدمرة بأنهم أنصاف مثقفين " فالوجودية ليست فلسفة إتباحية مدمرة كما يصفها أنصاف المثقفين، وإنما هي مرحلة فكرية ، وهدفها تحرير العقل من القيود والتقاليد التي فقدت قابليتها للبقاء. وخلق قيم جديدة تناسب الفكر البشري ، ورفع الانسان الى قمة البطولة ليتحمل مسؤولياته وأخطاءه وحده "[٢٧]. بينما يصف بعض أصدقائه أن اعلانه هذا مجرد ادّعاء ليس الاّ، واصفا ادعاءه بأنه " لم يكن سوى موقف ثقافي طالما بدا مموها بشيء من متطلبات الطموح. فكنا نتحصن لهذا السبب على الاكثر (ثقافاتنا) دون ان نبرر أي انتماء طبقي "[٢٨].

وتتضح السمات السريالية لدى حسين مردان في حديثه عن ضيق الوزن الشعري في التعبير عن مكنوناته النفسية، قائلاً : " ان الوزن يمنع الشاعر عن التعبير عن العالم السفلي بطريقة انسيابية أ التداعي- فيفرض العقل سيطرته الكاملة !! فانا أ كشاعر- أحس احيانا بأشياء صغيرة جدا في مطاوي نفسي البعيدة لا استطيع نقلها الى الوزن كما احس بها ؛ لأن الوزن يمنعني من ذلك ؛ لأنه يجعلني في حالة وعي دائم في الوقت الذي احتاج فيه الى خنق ذلك الوعي ، لأدعَ روحي تقيّء

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

ارتعاشاتها كما هي عندما كانت في مخبئها السري ، لذلك خلقت " النثر المركز" .... على الشاعر اليوم أن يهبط الى الاسفل ويدخل رأسه في كل حجيرة من كيانه ليفهم سر الحياة ويعبّر عن كل ما يضطرب في أبعاد النفس"[٢٩] ، فقد كانت احدى مراجعه ، وذكر علي جواد الطاهر أن: " التداعي سيد الموقف في رجل ترك المقادير تجري في أعنتها ، تسيره ولا ارادة له ، هو راض بذلك طالب له، والا فمن أين جاءته السريالية ! "[٣٠]، أما الرمزية ، فقد قرأ حسين مردان قصائد بودليروكتاب هاوز وتأثر بها ، وقرأ كتاب شمت عن (الرمزية) وكتاب هاوز في (الفن والمجتمع عبر التاريخ)" [٣١] .

وصل حسين مردان في افقه الفكري والثقافي إلى " العهد القديم من الكتاب المقدس" وتأثر بنشيد الانشاد للملك سليمان ، ووجد فيها قصيدة من أروع قصائد الحب في الاداب القديمة، ويرى الطاهر أن السبب في ذلك يعود الى انسجام النشيد مع كيان الشاعر انسجاما مطلقا: مادة ، ومعنى، وشكلا ، ومضمونا[٣٢] " إذ يلتقي اثنان في الشبع المطلق من أمر يجوع اليه الانسان ويتوق اليه اذا حرمه. ليكن الالتقاء واقعا بين الطرفين، وليكن متخيلا لدى طرف دون طرف وبلغ الخيال فيه مدى الواقع المنطلق من الواقع .. ليكن لأن المهم هو الاكتفاء" [٣٣]، الاكتفاء أو الشبع المطلق في الصراع الداخلي أو اللاشعور. بيمنا وجد سعدي يوسف أن السبب وراء ذلك يكمن في بحث الشاعر حسين مردان عن الحرية ، قائلاً : " وحرية حسين مردان ، بسيطة، وإن لم تكن ساذجة . بسيطة بمعنى أنها واضحة صريحة، لاتغفل، ولا تستغفل. انها حرية جعلته يؤمن بأن كل شيء يجب أن يكون مباحا له ومتاحا .. هو الفقير الى اللقمة والدرهم والقميص والداسة والمرأة ومبيت الليلة،. انها حرية كانت تعني لديه سيطرة داخلية على العالم وامتلاكاً له ، والقدرة على تناوله وصياغته من جديد، وهكذا تناول الكتاب المقدس في صياغة جديدة ل(نشيد الانشاد) وهكذا صفع الاعراف" [٣٤]، وبهذا يتضح ان ما أراده حسين مردان ذو منبع واحد تشربت به نفسه ، وهو الحرية.

القيم النفسية السائدة :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

إن قارئ شعر حسين مردان يجد الكثير من المعتقدات الخاصة به ، الصريحة والضمنية ، والتي أفصحت عن نفسها عن طريق سلوكه وأفعاله التي ترجمها شعرا كاشفا بكل ما يحمله من مضامين ورؤى . ولعل أهم هذه القيم ، هي:

الحب والبوهيمية :

وجد حسين مردان في المرأة ضالته الشعرية ، والتي كادت أن تكون القاسم المشترك للكثير من كتاباته الشعرية ونثره المركز ، وحتى قصصه ومقالاته الصحفية ، يقول حسين مردان : " اني لم أبتسم لفانوس الحب .. على الرغم من أن المرأة كانت ولا تزال أجمل القصائد في قلبي ، ولو أنها خالقة عذابي الذي لا نهاية له " [٣٥]، فالحب عنده " تفجير ذري لا خلاص منه إلاّ بالذوبان فيه "[٣٦] ، كان الحب هو الهاجس الاكبر في أغلب ما كتب على الرغم من خوفه منه ، واخفاقه فيه ، حتى وإن قدم التبريرات الكثيرة لذلك .

واتخذ حسين مردان من الجنس عالما شعريا لم يحد عنه الا قليلا ، فكرّس جهوده كلها ونظم اكثر قصائده في الجنس بصراحة وتحدٍ ، ونفر عن الخط العام الذي جرى عليه الشعر واستطاع بجراة غريبة ان يعرض ما يجول في أعماقه من حرمان جنسي وتعطش الى المرأة [٣٧]، ويرى سعدي يوسف أن حسين مردان في أشعاره الجنسية " اقتحم باباً اغلق عناية فائقة ، منذ الشعر الجاهلي ، وحلت اللعنة على من حاول فتحه طيلة تاريخ الشعر العربي ، ان (قصائد عاري) .. لا تكمن قيمتها في أنها شعر جنسي لذاته، بل في أنها قصائد أعدت اثارة الحديث عن الجنس في الشعر العربي ، ومن هنا جاءت طبيعتها الاعلامية الاستفزازية "[٣٨] . يقول عبد الرضا علي عن حسين مردان أنه " يفاخر ببوهيميته التي لا تجدها إلاّ عند من وضع اللذة هدفاً في حياته فبات يبحث عن كل جديد في اثارة الغريزة والتفتن في عرضها بتلذذ ومباهاة، فهل ثمة غرابة أكثر من مباهاة! "[٣٩]، وتتضح بوهيميته في التطور التدريجي لتشبيهاته الحسية للمرأة ؛ فبينما كان في قصائده الاولى يشبّه خدها بشذى الورد :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

خدّها

كفهّا اللطيف حديث

كشذى الورد في ضفاف الجنان [٤٠]

أصبح بعد ذلك يستنشق رائحتها:

أما انا فكما أختبرت فلم أجد

أشهى وأجمل من شذى أبطيك [٤١]

يقول حسين مردان : " لقد حاولت في قصائدي الاولى والتي ظهرت في ديوان قصائد عارية أن أكشط الجلد ، وأرفع جميع طبقات اللحم مخترقاً العظام للوصول الى حركة الدم لمعرفة العلاقات التي تربط بين المرأة والرجل . فلقد ظل الحب خيمة مغلقة ينظر اليها الشعراء كشيء له علاقة ما بالسماء"[٤٢]، فأراد للحب ان يكون مرتبطا بالطبيعة ، بعيدا عن التقاليد والمُثل الاجتماعية.

النرجسية:

من الطبيعي ان يتسم الشخص المتمركز حول ذاته بالنرجسية ، اذ تزيد الشعور لديه بالعظمة والفوقية، وهذا ما يتصف به حسين مردان الذي يردد في اكثر المحافل مقولاته التي تطغى فيها الـ (أنا) فيوجه مشاعره نحو ذاته دون اكتراث لمعايير السلوك المشترك، وبعيدا عن الاعراف والتقاليد . ولعل اول دليل على هذا الامر، أنه حين أصدر ديوانه الاول في اواخر عام ١٩٤٩ ، قصائد عارية ، أهداه الى نفسه ، قائلاً: " لم احب شيئاً مثلما أحببت نفسي، فإلى المارد الجبار الملتف بثياب الضباب الى الشاعر الثائر والمفكر، .. الى.. حسين مردان " [٤٣] ، بل يصل الى اكثر من ذلك حين شبّه نفسه بالأسد الذي لا يأكل الميت :" أن عزائي الوحيد هو أني لم افقد صفة الأسد أبداً، وأني لم اسمح لأسناني بملامسة الأطعمة الميتة"[٤٤].

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

وعلى الرغم من تلميحه بأهمية المراة في الخصب والتجدد، وذهوله بجمالها الذي يدفعه الى الصرع ، بحسب قوله " إنّ الجمال لا يجذبني فقط، بل يدفع بي الى الصرع ، وعندما استفيق أجد نفسي في حالة متناهية من الشفافية والصفاء "[٤٥]، الا انه وقف موقفا معاكسا يتجسد في وصفه المرأة بأنها مطفأة للهاث الجنسي ليس الا ، وهنا تبدو نرجسيته بشكلها السادي حد التباهي في الملذات كاسراً قيود القيم والتقاليد الاجتماعية ، فهو لا يحب الا المرأة التي تحتقر جميع الرجال وتسجد تحت قدمه وحده " [٤٦] ما يعكس ذاتية مفرطة .

الاحباط:

يظهر احباط الشاعر حسين مردان في الكثير من مقطوعاته الشعرية ، واسبغ على نفسه صفات الخزي والعار ، مالم نجده عند شاعر سبقه، يقول في قصيدة(ميلاد شيطان)[٤٧]:

يا يوم مولدي المشؤوم ما فتئت

ذكراك تزعج أهل الارض أحيانا

فهل أتيت الى الدنيا لأملأها

خزياً، وعاراً، وأحزاناً، وكفرانا

ولم يكتف بلعن يوم مولده ، بل شبه نفسه بالوحش الحقير ، قائلاً[٤٨]:

هكذا قد خلقت : وحشاً حقيراً

فتغنيتُ بالنشيد الحقير

حتى أنه كانت لديه رغبة في تدمير نفسه، فجعل من حياته لا معنى لها، فهي لعنة، تظل بعد وفاته[٤٩]:

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

لعنة جئت للحياة وأمضي

مثلما جئت لعنة للقبور

ويمضي الى أكثر من ذلك عندما جعل من نفسه وصمة عار في جبين الزمن الذي عاش فيه[٥٠]:

ياليالي لم أكن غير خط

أسود اللون في جبين الدهور

ويتضح من ذلك كله ان حسين مردان يشعر بانفصامه عن محيطه وعدم توازنه مع مجتمعه الى حد جعل من نفسه انسانا مشوها من الداخل ، فكان إحباطه تثبيطا يعوقه عن الوصول الى هدفه ، فهو " حالة للعضوية تحدث حين يصعب، أو يستحيل إرضاء دوافع العضوية أو حوافزها" [٥١].

ان حسين مردان يعمد في تصويره الاحباط الى جعل المتلقي يلقي اسباب ذلك الاحباط على المجتمع وسياسة الدولة في الاربعينيات ، وحكامها الذين قيدوا حركة الثقافة والتحرير، وهذا ما تجسد في حواره مع محمود الظاهر[٥٢]:

حقا يا محمود كلكم سترجعون.. العهد

العارفي على وشك السقوط الى الابد.

- من أين لك هذه المعلومات ؟!
- وهل يخفى على حسين مردان؟!

ويبدو أن إحباطه ناتج عن حزنه ، فكان فيه غير قليل من الحزن الذي لا سبب له " أن الحزن الوحيد الذي لا استطيع أن اقبض عليه واصرعه هو الحزن الذي لا اعرف مصدره ، والذي يأتي إلي فجأة وبلا سبب " [٥٣]، ثم أنه يرحب بهذا الحزن ويبتسم له ، قائلاً:" كنتُ ارحب به وأبتسم له ، وأتحدث

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

اليه بمودة، باعتباره ضرورة ابداعية وصفة من صفات العبقرية"[٥٤]، وهنا تطفو الذات المتضخمة لديه مرة أخرى عندما أدرج نفسه ضمن قائمة العباقرة .

الخاتمة:

- اتصف حسين مردان ببعض القيم النفسية التي كان يشعر بالسعادة لاختيارها ، لا سيما التمرد والبوهيمية والنرجسية، ورغبة عارمة في إعلانها على الملأ والتمسك بها ، وهذا ما يتوافق مع المكون الوجداني للقيم.

- إن شعوره بالغربة والاغتراب أفضى ب هال سلوك التمرد، فاجتمعت حياته على رغبات متأصلة على هذه القيمة بالتمركز حول ذاتية مفرطة.

- اتسمت قيمه بخصائص ذاتية تتعلق بالطبيعة الانسانية والاجتماعية والسيكولوجية لديه، حتى ترجم تلك القيم الى ممارسة ونمط ، شملت ميوله ورغباته وعواطفه، بما يعبر عن عناصر شخصيته وذاتيته.

- احتضنت المقاهي والسجون تجارب حسين مردان الشعرية ، وعمقت لديه أفكاره وفلسفته الخاصة المستقاة من تلك الأماكن ، محاولاً تحقيق وجوده وباحثاً عن توجهاته الحقيقية منطلقاً من ذاته.

- غذت الفلسفات الغربية ، كالوجودية والسريالية، أفكار حسين مردان ، ورسمت له خارطته الشعرية ، فكانت بمثابة المرجعيات الفكرية التي استمد منها الكثير من الأفكار والرؤى.ولم يكتف باعتناق تلك المذاهب أو الفلسفات ، بل وقف مدافعا عنها منطلقا من أهدافها الرامية الى تحرير العقل البشري من القيود.

- على الرغم من الاعتقاد الشائع بأن المرأة هي المثال الشعري عند حسين مردان ، إلا إن المتمعن في دراسة شعره يكتشف ان ذاته هي المحور العام الذي يدور عليه معظم شعره ، وكل محاولاته الشعرية تهدف الى اثبات ذاته التي رسمها بنرجسية عالية.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

[1] - القياس النفسي وتصميم أدواته، بشير معمرية ، منشورات الحبر،ط٢، ٢٠٠٧: ٤٣.

[2] - مجمع اللغة العربية، ج/٢، دار عمران – القاهرة، ط٣، ١٩٧٢: ٩٧.

[3] - قاموس علم الاجتماع، محمد غيث، دار المعارف الجامعية – الاسكندرية،ط١، ١٩٨٩: ٥٠٤.

[4] - مقدمة في الفلسفة الاسلامية، الدار العربية للكتاب- تونس،١٩٩٠ :٩٦.

[5] - المفاهيم والعمليات الاساسية في علم النفس الاجتماعي ، بوفريسة بو بكر، منشورات جامعة باجي مختار،٢٠٠٦ :٤٥.

[6] - قاموس الانثروبولوجيا، انجليزي- عربي، شاكر مصطفى سليم، جامعة الكويت،١٩٨١ :١١٣.

[7] - ينظر: المفاهيم والعمليات الاساسية في علم النفس الاجتماعي:٤٢-٤٣.

[8] - قيم العمل والدافعية للانجاز لدى اطار المؤسسات الجزائرية، وافية صحراوي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،٢٠٠٨ :١٤.

[9] - علم النفس الاجتماعي، خليل عبد الرحمن المعايطة، دار الفكر – الاردن، ط٢،٢٠٠٧ :١٧٩.

[10] - التوافق النفسي بين المسنين، عبد الحميد محمد شاذلي، المكتبة الجامعية – الاسكندرية: ١٣٧.

[11] - ينظر: القيم وطرق تعلمها وتعليمها، دراسات في الفيم والتربية ، مؤتمر كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك – الأردن ،١٩٩٩ :٩.

[12] - دراسة القيم الاجتماعية لدى الفتاة الكويتية وأبعادها التربوية، سميحة محمد أبو النصر، رسالة ماجستير ، ١٩٨٢ :١٠٢.

[13] - الموجة الصاخبة، سامي مهدي: ١٧-١٨.

[14] - من يفرك الصدأ ؟ ، علي جواد الطاهر: ٣٦٢.

[15] - ينظر: م.ن: ٢٢٠.

[16] - أنا وحسين مردان، شاكر حسن آل سعيد، مجلة الاقلام، ع(١١)، ١٩٨٤ : ١١٢- ١١٣.

[17] - الأزهار تورق داخل الصاعقة ، حسين مردان: ١٢١- ١٣٠.

[18] - الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، جلال الخياط : ٩٠.

[19] - ينظر: من يفرك الصدأ: ٢٦٦.

[20] - الأزهار تورق داخل الصاعقة: ١٣١.

[21] - من يفرك الصدأ؟ : ٣٦٢.

[22] - ينظر: م.ن: ٢٣٤- ٢٣٨.

[23] - من يفرك الصدأ: ٢٣٨.

[24] - الأزهار تورق داخل الصاعقة: ١٣.

[25] - ينظر: الشعر الحديث مرحلة وتطور، جلال الخياط: ٩٣.

[26] - ينظر: مَن يفرك الصدأ: ٢١٩.

[27] - مقالات في النقد الأدبي، المطبعة العربية، بغداد، ط١، ١٩٥٥: ٥١.

[28] - أنا وحسين مردان ، شاكر حسن آل سعيد، مجلة الأقلام ،ع(١١)،١٩٨٤: ١١٢-١١٣.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

[٢٩] - نقلا عن : من يفرك الصدأ: ٢٣١.

[٣٠] - م.ن : ٣٢.

[٣١] - ينظر: م.ن: ٤٢-٤٣.

[٣٢] - ينظر: م.ن: ٢٢٧.

[٣٣] - م.ن: ٢٢٨.

[٣٤] - حسين مردان شاعر في الحياة وفي جواز السفر، سعدي يوسف، مجلة الاقلام، ع(١١)،١٩٨٤: ٥٠.

[٣٥] - من يفرك الصدأ : ٥٣.

[٣٦] - الأزهار تورق داخل الصاعقة، الصاعقة ورأس الشمعة: ٥٠.

[٣٧] - ينظر: الشعر الحديث مرحلة وتطور، جلال الخياط : ٩٠و٩٣.

[٣٨] - حسين مردان شاعر في الحياة وفي جواز السفر، سعدي يوسف ، مجلة الأقلام، ع(١١)،١٩٨٤: ٥٠.

[٣٩] - تشبيهات حسين مردان في قصائد عارية ، عبد الرضا علي، مجلة الأقلام ، ع(١١)، س ١٩٨٤: ١٣٦.

[٤٠] - قصائد عارية، مطبعة دار المعرفة ، دار المعرفة ،ط٢، ١٩٥٥، قصيدة سافرت : ١٥.

[٤١] - قصائد عارية: ٣٦.

[٤٢]- الأزهار تورق داخل الصاعقة، من مخزن الذكريات : ١٥٦.

[٤٣] - من يفرك الصدأ: ٢٢٠.

[٤٤] - حسين مردان .. مقالياً، د.علي جواد الطاهر، مجلة الأقلام، ع(١١)، ١٩٨٤: ٨١-٨٢.

[٤٥] - م.ن: ١٩٨.

[٤٦] - ينظر: ديوان قصائد عارية : ١٧.

[٤٧] - قصائد عارية:٢٠.

[٤٨] - قصائد عارية: ٢٥.

[٤٩] - نفسه.

[٥٠] - ديوان قصائد عارية ، قصيدة براكين: ٢.

[٥١] - معجم علم النفس، فاخر عقل، دار العلم للملايين ، بيروت،ط٢، ١٩٧٧: ٤٧.

[٥٢] - الغربة وحسين مردان ، محمود الظاهر، مجلة الأقلام،ع(١١)، ١٩٨٤: ١٠١.

[٥٣] - الأزهار تورق داخل الصاعقة، الحب والوطواط: ١١.

[٥٤] - الأزهار تورق داخل الصاعقة : ١٢.

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

مصادر البحث

١. الأزهار تورق داخل الصاعقة، حسين مردان، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٢.

٢. التوافق النفسي بين المسنين، عبد الحميد محمد شاذلي، المكتبة الجامعية ، الإسكندرية.

٣. دراسة القيم الاجتماعية لدى الفتاة الكويتية وأبعادها التربوية، سميحة محمد أبو النصر، رسالة ماجستير ، ١٩٨٢.

٤. ديوان قصائد عارية، مطبعة دار المعرفة ، دار المعرفة ،ط٢، ١٩٥٥.

٥. الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، جلال الخياط ، دار الرائد العربي، بيروت،ط٢، ١٩٨٧.

٦. علم النفس الاجتماعي، خليل عبد الرحمن المعايطة، دار الفكر ، الأردن، ط٢ ،٢٠٠٧.

٧. قاموس الأنثروبولوجيا، انجليزي- عربي، شاكر مصطفى سليم، جامعة الكويت،١٩٨١.

٨. قاموس علم الاجتماع، محمد غيث، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية،ط١، ١٩٨٩.

٩. القياس النفسي وتصميم أدواته، بشير معمرية ، منشورات الحبر،ط٢، ٢٠٠٧.

١٠. قيم العمل والدافعية للانجاز لدى إطار المؤسسات الجزائرية، وافية صحراوي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،٢٠٠٨.

١١. القيم وطرق تعلمها وتعليمها، دراسات في الفيم والتربية ، مؤتمر كلية التربية والفنون، جامعة اليرموك ، الأردن ،١٩٩٩.

١٢. مجمع اللغة العربية، ج/٢، دار عمران ، القاهرة، ط٣، ١٩٧٢.

١٣. معجم علم النفس، فاخر عقل، دار العلم للملايين ، بيروت،ط٢، ١٩٧٧.

١٤. المفاهيم والعمليات الأساسية في علم النفس الاجتماعي ، بوفريسة بو بكر، منشورات جامعة باجي مختار،٢٠٠٦.

١٥. مقالات في النقد الأدبي،علي جواد الطاهر، المطبعة العربية، بغداد، ط١، ١٩٥٥.

١٦. مقدمة في الفلسفة السلامية، الدار العربية للكتاب- تونس،١٩٩٠.

١٧. من يفرك الصدأ؟ علي جواد الطاهر، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،ط١،١٩٨٨.

١٨. الموجة الصاخبة، شعر الستينات في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.

المجلات :

Thi Qar Arts Journal

ISSN Print: 2073-6584 | ISSN Online: 2709-794X

vol 35 No.1 June. 2021

مجلة الاقلام ، ع(١١) لسنة ١٩٨٤، ملف خاص : حسين مردان في ذكراه الثانية عشرة :

١٩. أنا وحسين مردان، شاكر حسن آل سعيد .

٢٠. تشبيهات حسين مردان في قصائد عارية ، عبد الرضا علي .

٢١. حسين مردان .. مقاليا، د.علي جواد الطاهر.

٢٢. حسين مردان شاعر في الحياة وفي جواز السفر، سعدي يوسف .

٢٣. الغربة وحسين مردان ، محمود الظاهر .